توزيع جوائز في معرض الربيع السنوي ـ دمشق

خليل: سورية كانت ولا تزال مصدراً أساسياً للفكر والثقافة والفنّ

كرّمت وزارة الثقافة السورية أمس، تسعة عشر فناناً وفنانة من المشاركين في معرض الربيع السنوي 2015، الذي أقامته مديرية الفنون الجميلة بالتعاون مع اتحاد الفنانين التشكيليين، في أقسام النحت والتصوير الزيتي والغرافيك، وذلك في مكتبة الأسد الوطنية في دمشق.

وذهبت جائزة المعرض الكبرى للفنان إياد النصيرات، وجائزة لجنة التحكيم للفنانة أسمى الحناوي. أما جائزة اتحاد الفنانين التشكيليين فكانت للفنانين عامر علي وبيلسان دياب.

جوائز التصوير الزيتي ذهبت لكل من الفنانين شادي العيسمي ومحمود داود ومحمد ناصر وخولة العبد الله، أما جوائز فن الغرافيك ففاز فيها كل من الفنانين مروة المقبل وشادي أبو حلا ومريانا الشماس وعلي العلاف وريم الحايك ومحمد إياد الحموي، وجوائز فن النحت للفنانين قصي النقري ومصطفى أنطاكي وريم يونس وربيع قرعوني وحسام نصرة.

وقال وزير الثقافة عصام خليل في تصريح للصحافيين: «إن هذا التكريم يمثّل تحفيزاً وتحريضاً للمواهب الشابة ليستمر أصحابها في رفد الحركة الفنية في سورية بأعمال متميزة، ويعزّز مستوى الأعمال المشاركة في المعارض المقبلة». مشيراً إلى أن وزارة الثقافة اتبعت هذه السنة نهجاً جديداً في المعارض الفنية بإعطاء جوائز للأعمال الأكثر إبداعاً وتميّزاً، إذ كانت الوزارة سابقاً تقتني جميع الأعمال المشاركة. لافتاً إلى أن منح الجوائز يعطي حافزاً ودافعاً للمنافسة بما يخدم الفن والحركة الفنية بشكل عام.

وأضاف خليل: «لدينا مواهب مرموقة نفتخر ونعتز بها في سورية التي كانت وما تزال مصدراً أساسياً للفكر والثقافة والفن بكل أبعاده، خصوصاً هذه المرحلة، إذ نواجه حرباً ظلامية غير مسبوقة في التاريخ، وعلى رغم ذلك، ما زال الفنان السوري مستمرّاً في العطاء والإبداع والتعبير عن نفسه وعن انتمائه بألوانه المتميزة وتمسكه بهذا الوطن النبيل».

من ناحيته، قال مدير مديرية الفنون الجميلة عماد كسحوت إنّ الفنانين الشباب في سورية يقدّمون النموذج الصحيح عن الحياة التي لا تموت في بلدنا. وهم امتداد للحالة الإبداعية في سورية ورافد لحركة الفن والثقافة. ومن خلال ما تقدّمه وزارة الثقافة من معارض وفعاليات، يؤخذ بيد كل حالة مبدعة.

وأشار كسحوت إلى أن معرض الربيع لهذه السنة خلق روح المنافسة بين المشاركين من خلال تقديم الجوائز للأعمال المميزة، بهدف إيجاد أرضية مناسبة للإبداع، ورفع مستوى المنتج من خلال تحفيز الفنانين الشباب.

أما الدكتور نبيل رزوق، الأستاذ في كلّية الفنون الجميلة وعضو في لجنة التحكيم، فقال إنّ الأعمال المقدّمة في معرض الربيع السنوي لهذه السنة كانت متميزة. وفي مستوى عال تحدّث معظمها عن الواقع الذي نعيشه من خلال الرمزية التي اختارها الفنان لمواضيع مختلفة قدّمها الفنانون الشباب بأسلوبهم من مختلف المدارس الفنية.

ورأى الفنان إياد النصيرات، الفائز بالجائزة الكبرى في المعرض، أن هذه الجائزة مسؤولية يجب أن يتحمّلها الفنان ليستمر في العطاء والنجاح في الأعمال المقبلة، ويقدّم أعمالاً بالمستوى نفسه، لا بل أكثر. مشيراً إلى أن الأعمال المشاركة كانت على درجة عالية من الإبداع، ما خلق روح المنافسة.

وحول عمله الذي شارك به في المعرض، قال النصيرات إنه عمل في الغرافيك (طباعة حجرية) قدّمه وفق حالة تعبيرية تمثل الإنسان بشكل عام، وهو يعبّر عن الظرف الراهن وكيف تأثر بمجموعة من الحالات ترك للمتلقي قراءتها.

أما الفنان شادي العيسمي، الفائز بجائزة التصوير الضوئي، فأوضح أنّ للتكريم خصوصية لتشجيع الفنان على العطاء أكثر، لأنه يشعر بقيمة عمله وأهميته من خلال لجنة متخصّصة تسلّط الضوء عليه وتقيّمه كعمل هادف في عالم بعيد عن الأعمال الفنية التجارية، إذ قدّم عملاً في التصوير الزيتي حمل اسم «حوار» وفق أسلوب تعبيري بصري من وحي الواقع والظرف الراهن.

ورأت الفنانة أسمى الحناوي الفائزة بلجنة التحكيم أن التكريم يعطي الفنان الشاب دافعاً للاستمرار وخلق روح المنافسة بيننا كفنانين لتقديم الأفضل. وجاءت مشاركتها من خلال عمل في التصوير الضوئي جسد بورتريه لشخص أسمته «بورتريه ميمون».

من ناحيته، قال الفنان محمد إياد الحموي الفائز بجائزة الغرافيك، إنّ منح جوائز للفنانين الشباب المشاركين في معرض الربيع أعطى دافعاً للمشاركة أكثر، وخلق روح المنافسة لأعمال فنية تقدّم الأفضل والجديد في حركة الفنّ التشكيلي.

يذكر أن معرض الربيع السنوي 2015 أقيم في الخامس والعشرين من نيسان الماضي في خان أسعد باشا، وشارك فيه 109 فنانين تحت عمر 40 سنة.

غبريال عبد النور يشارك البطريرك أغناطيوس افرام الثاني إضاءة «شعلة السلام» في معرّة صيدنايا

أضاء الفنان اللبناني غبريال عبد النور، «شعلة السلام» مع بطريرك السريان الأرثوذكس أغناطيوس أفرام الثاني، في معرّة صيدنايا في سورية، ضمن أمسية سلام، قدّم خلالها مجموعة من الأغنيات والتراتيل بأكثر من لغة.

وأنشد عبد النور السلام في أمسية ثانية بعنوان «الطفولة شمس لا تغيب»، بدعوة من «مؤسسة الشهيد»، وبالتعاون مع الهيئة السورية لشؤون الأسرة والسكان، وذلك في فندق «آرت هاوس» في دمشق.

وتضمنت الفعالية التي يعود ريعها إلى أطفال الشهداء، حصيلة عمل برنامج الدعم النفسي التي قامت به «مؤسسة الشهيد» لمدة سنة كاملة مع أطفال «مدارس عكرمة» التي طاولها التفجير الإرهابي السنة الماضية، والذي راح ضحيته عددٌ من الأطفال.

أما برنامج عبد النور، فتضمّن مجموعة من الأغنيات من ألبوماته «جبران خليل جبران» و«قمر بيروت» و«غنّيت الياس ناصر»، إضافة إلى أغنيات من ألحانه كـ«تحية لمدينة الشام» من كلمات باسمة بطولي وسهام الشعشاع، وأغنية «مدينة تاريخية» كتحيّة لمدينة حلب من كلمات ندى عبد النور. وخصّ عبد النور الشهداء في أغنية من كلمات باسمة بطولي، وأهدى روح صديقه الشهيد محمد عدبا أغنية «رؤيا» من كلمات سهام الشعشاع.

تقدّم الحضور في الأمسية الثانية البطريرك أغناطيوس أفرام الثاني، والمطران جان قواق، والممثل القدير دريد لحام، والمؤلف الموسيقي طاهر ماملي، والإعلامي نزار الفرّا، والفنان حسام جنيد، وغيرهم من الوجوه الإعلامية والثقافية والفنية البارزة.

نقديّة الذائقة وذائقة النقد

■ سامي البدري*

الإنسان العربي كسول، وهذا الكسل بالتأكيد لحق ذائقته وشمل قابلياتها (التقبلية والنقدية) بأثره. ولهذا، هي لم تتحول إلى أداة نقد واعية، وأداة تمييز كاشفة تؤسس لمشروع نقديّ ينسجم مع طرق تفكيره أو يحتويها، ويحتوي أخذه الحياة ويعبّر عن حسّه. الرؤى الفلسفية (مناهج ومدارس) لا تأتي من فراغ ولا تولد في فراغ، إنما هي تأتي كنتاج تطوّري لمشروع نقدي، تدفع باتجاهه ـ كحاجة ـ ذائقة نقدية أصيلة الوعي، ولها القدرة على استيعاب حاجات الوعي والنمو الفكري المتوالدة واحتوائها، التي عادة توصلها الأجناس الأدبية، عبر نتاجها، في دواوين الشعر والمجاميع القصصية والروايات وما يكتب للمسرح.

كنت قد سعيت قبل ثلاثين سنة لإنتاج كتاب (قرائي / نقدي) عبر نتاج الأدب العربي، يماثل، في تطلعه كتاب «اللامنتمي» لكولن ولسن، أو يقترب من هدفه النقدي الفلسفي، ولكنني صدمت بعدم وجود نتاج أدبي يصب في، أو يعبّر عن فكرة أو (مشكلة) فلسفية واضحة المعالم والأهداف، تحتوي أو تؤطر حدوداً واضحة لمشاكل الفكر العربي أو وجهات تطلعاته واستشرافاته. فكيف لنا أن ننضج مشروعاً نقدياً ونحن لا نجيد التعبير عن مشاكلنا وحاجاتنا بوعي ووضوح تامين؟

فالذائقة الرصدية العربية متباينة تبايناً «صقيعياً» فعلاً، من بقعة اجتماعية إلى بقعة، ولا تربطها جوامع أو منطلقات فكرية الأسس من الأساس. بمعنى أن الأدب العربي ـ باستثناء بعض الشطحات الشاذة ـ تحكمه مرحلية الدافع للتفكير والإنتاج، ولا تحكمه قواعد عملية فكرية أو مشروع فكري / فلسفي يعبّر عن حاجات ومشاكل ثابتة تعبر عن مصيره (الفكري) الكبير.

وهذا يعني بالمثال، أن الشاعر العربي، على سبيل المثال، انتظر هزة نكبة فلسطين وحربها، عام 1948، لكي يبحث عن أساليب شكل ومضامين جديدة (أو مغايرة لمألوفاته لما قبل تلك الحادثة، إن شئنا الدقة) ليعبّر فيها عن حجم تلك المأساة. وهكذا الحال مع ما تبع تلك الحرب من حروب وكوارث مماثلة. وإذا كانت الساحة الأدبية، في تلك الفترة، مقتصرة على الشعر، لعدم نضوج تجربة روائية ومسرحية يعتدّ بها، فإننا نجد أن تجربة هذه الأجناس في المراحل اللاحقة، كانت مرحلية الأهداف والمضامين هي الأخرى، وبالتالي لم تعكس «توجهاً رؤيوياً فلسفياً» محدّداً، يعبّر عمّا كانت تعالجه «الذائقة النقدية» العامة أو تتصدّى له من إشكالات ومشاكل فكرية وفلسفية.

من نافلة القول أن نذكر هنا، أن المشاريع والمدارس النقدية لا تأتي من فراغ، إنما هي حاجة تولدها حالة نضوج فكري، ترتقي بدورها بأساليب وآليات اشتغال وتعامل الذائقة، التي هي تعكس المستوى الثقافي لأي مجتمع من المجتمعات. وكلما توسعت آفاق الذائقة وارتقت في البحث عن مستويات إشباعها، ولدت أدوات ورؤى نقدية جديدة تساعدها في البحث عن مضامين جديدة تجيب عن أسئلتها الجديدة وتسدّ فراغاتها. كما أن المشاريع النقدية الناضجة، هي التي تملك وسائل الاحتجاج التقويضية للمفاهيم القديمة والناكصة وأدوات إنضاج البدائل الفكرية الأكثر حداثة وتواؤماً مع تطلعات العقل والحس الجديدة. ومثل هذه المشاريع لا تصنعها إلا ذائقة رصينة لا تساوم ولا تنفعل ولا تتنازل عن كونها وسيلة الإنضاج الفلسفي المتطلع إليها، لأن الفلسفات لا تولد من برودة العقل وجهامة صياغاته المجردة، التي تصنع الأنظمة الصماء، إنما من مراحات الحس النقي «الذائقة» التي تهذبها قوانين العقل، ومن هنا تولد المشاريع النقدية التي تقود بدورها إلى الرؤى أو المناهج الفلسفية، وهذه هي نقطة اختلاف الفلسفة عن العلم وقوانينه المجردة.

هذا الاستنتاج يوصلنا إلى أهم المشاكل التي واجهتها المناهج النقدية الأوروبية الحديثة، لدى الأوربيين، والمستوردين لها من غير الأوروبيين؛ فبالنسبة إلى الأوروبيين ظهرت مشكلتها من كون أنها قامت على رؤى فلسفية بنظام مجرد أهمل دور الذائقة، ذلك الإهمال الذي أحال عملية قراءة النص «نقدياً» إلى ما يشبه القراءة العلمية التي تحكمت فيها قوانين النحو أو الإشارات التي أحالت جسد النص، بعد عزله عن روحيته الحسية والمشاعرية، إلى ما يشبه جسد الماكينة الحديدي، الذي يجب أن تطبق عليه قوانين الهندسة الميكانيكية ليعرف موضع الخلل في عطلها أو ضعف أدائها؛ ولعل هذا هو السبب الذي عجل بموت بنيوية رولان بارت «التي لم تعش، من الناحية الفعلية، سوى عشر سنوات من عام 1960 إلى عام 1970 في الأوساط النقدية الفرنسية» في فرنسا وأوروبا، لأنها سعت إلى علمنة الأدب استناداً إلى هذه الرؤية، وهذه هي الإشكالية التي وقعت فيها ونفرت الأدباء والنقاد منها. أما في البلدان أو الثقافات غير الأوروبية، والعربية منها على وجه الخصوص، فإن هذه المناهج ما زالت تدرّس في جامعاتها، كمناهج أساسية قائمة وكتأريخ لتطور المناهج النقدية، لعجز هذه الثقافات عن إنتاج مناهجها أو مشاريعها النقدية الخاصة بها والملائمة لطرق تفكيرها وأنسقتها الثقافية. وعليه نرى أن ما كتبه مدرّسو هذه المناهج الأكاديميون من قراءات نقدية للنصوص العربية وفق رؤية تلك المناهج، جاء بقطيعة مع الذائقة العربية ولم تستسغه حتى «الثقافة العقلية» العربية، لا لصعوبة هضمه من قبل العقل العربي، بل لعدم انسجامه مع الذائقة العربية، لأنه لم يكن من نتاجها ومن نتاج اشتراطاتها وحاجاتها الثقافية والفلسفية.

ولهذا نرى، في ثقافتنا العربية وإصداراتنا الثقافية، أن ما يكتب من نقد تطبيقي بالاعتماد على المناهج الأوروبية أو بتطبيقها، قد انحسر ليقتصر على البحوث الأكاديمية، وأما ما تتداوله مجلاتنا وصحفنا في صفحاتها الثقافية فهو ليس أكثر من انطباعات الذائقة، لأنها تكون الأقرب للفهم والأكثر إحاطة بحاجات ذائقتنا وفهمنا الأدبيين والثقافيين.

وهذا يعني في النهاية ـ على المستوى الثقافي ـ أن الذائقة ليست كيس تبضع أو وعاء حمل للأشياء، بغضّ النظر عن هويتها وأغراض استخدامها، إنما هي أداة خلق ثورية وفعل اختبار وتصنيف، بمرجعية الحس السليم. وهذا الحس هو ما تفتقر إليه البنية الثقافية العربية، إضافة إلى البنية الذهنية القادرة على التفاعل والتوليد والانسجام مع الأفكار الجديدة.

ولنقرّب هذه الفكرة إلى ذهن القارئ، نسوق المثال التالي، الذي يعكس أو يجسّد فعلا الإشكالية التي تعاني منها الذائقة العربية في بنيتها الحسية والثقافية. فقد شاهدنا على الإنترنت، نهاية عام 2013 صوراً وتسجيلات لبدو عرب «يشربون بول البعير من مصدره»، ورأينا «رجالاً يحشرون رؤوسهم بين أفخاذ الجمال ويحضنون مؤخراتها بأذرعهم من أجل مصّ بولها من مصدره مباشرة»... ولكم أن تتخيلوا أي ذائقة التي تقبل مثل هذا وبهذه الطريقة! كما عرضت «قناة العربية» تقريراً في الفترة نفسها عن طرق تعليب الجراد وبيعه ـ كوجبة غذائية نادرة ـ لدى بدو الجزيرة العربية، متجاهلين، لا بل مستهزئين بتحذيرات وزارة الصحة السعودية من الآثار الصحية والأمراض التي قد تصيبهم من المواد والمبيدات السامة، التي تعرّضت لها أسراب الجراد في البلاد التي مرّت بها أثناء هجرتها، بحثاً عن غذائها. وها هي المملكة العربية السعودية بالذات، تعاني من تفشّي فيروس «كورونا» القاتل، الذي ترجّح مختبرات مستشفيات المملكة أن تكون الإبل هي مصدر عدوى هذا الفيروس!

وإذا ما أردنا أن نفلسف تخلّف الذائقة هذا أو تحجره عند نقطة «وعي» أو «تاريخية» واحدة، نقول إن الذهنية العربية، وهي السابقة على الذائقة، تعاني من إشكالية على مستوى التقبل والهضم والاستيعاب لكل ما هو يناقض مألوفاتها المكتسبة، بسطوة التقادم التأريخي والنص الفوقي «اللاهوتي»؛ وعليه فإنها، وبدل أن تربّي وسائل حسّها وتفاعلها وأدواتها، فإنها تربّي وسائل حماية دفاعية لحماية حالة الركود التي توفّر لها حالة من الاستقرار وراحة الكسل، ضد أو في مواجهة حالة الشك التي يولّدها وضع التفاعل، والبحث عن مبرّرات لمشروعية الجديد وصلاحه، خصوصاً في ما يتعلق بالبنى المفهومية والقيمية التي ولد عليها. ونظنّ أننا لسنا بحاجة إلى التذكير بقصة تقبّل حنفية الماء، من قبل فقهاء عصر دخولها إلى حياة العرب، والتي أجبر تحليل أو شرعنة استخدامها إلى تسمية مذهب فقهي كامل باسمها.

*كاتب وروائي عراقي

منارة يافا بوصلةٌ لا تزعم عدّة «يافات»*

■ نصّار إبراهيم

سأل البحّارة: ما هذا الليل؟
ما هذا البحر، والضباب الذي لا يغيب؟
متى يأتي الصبح، وهل سيعود الهدهد
يحمل غصناً بالبرّ يبشرنا؟
قال البحّار العارف بالمدّ وبالجزر: صبراً
فالنجمة تنبؤني أن الفجر قريبٌ
والأرضَ كذلك
فاضرب بالمجذاف ولا تيأس وانتظِر الهدهد
أرسلَ عينيك في عمق الليل
وانتَظِر الضوء
سيأتي في حينه
ومنارة يافا لا تخدع بحّارتها
فهي البوصلة في عتم الليل
بعد القمر الثالث
ومن أقصى الأفق البحري
أطلّت منارة يافا
تضيء وتخبو كالحلم الأوّل
فأضاءت قلوباً يحملها الشوق إلى يافا
عند الشاطئ فجراً سكن البحر
ألقى البحّار المرساة
فغنّى البحّارة للبحر وللصبح وللشاطئ
أما البحّار فيمّم صوب البرّ
وهناك أراح في الدفء المطلق قلبَه
سأل البحر: لِم أنت وحدك؟
قال البحّار: لا تستهويني زحمة الموانئ
لي البحر والأرض والسماء
فهناك يبقى القلب نقيّاً
فنبض المنارة يكفيني
ويافا لا تغادر شاطئها
لهذا لست وحيداً
وماذا تنتظر؟
قال: أنا لا أنتظر
بل أطلق مع الغيم أفكاري
قال البحر: وماذا بعد؟
قال البحّار: وهل بعد يافا بعد؟
صمت البحر
هدأ الموج
سكنت الريح
أما البحّار فواصل مع الغيم الراحل رحلته
بعد أن انتصف الليل
نهض البحّار بكل أصالته ليعلن:
غداً نواصل التجذيف نحو أقدارنا
فمنارة يافا بوصلة لا تزعم عدّة «يافات»
والبحّار الماهر لا يخدعه هدوء البحر
والبرق بلا مطر
فيصحّح وجهته
فالملح البحريِّ يعلّمه أن منارة يافا تأخذه
حيث تكون أصول الكلمات
مشى البحّار هادئاً
مشى... ومشى... فابتسم البحر!

*من مجموعة قصصية قيد العمل

أتدرون من تكون حبيبتي؟

■ فؤاد شريدي

أنتظر دفء صيفك
ليعانق صقيع شتائي
دفء صيفك
صار يحمل سرّ وجودي وبقائي
وصرت أنتظره مع إطلالة كلّ صيف
أنت ما عدت مجرّد حلم في حياتي
ولا وهماً يشبه الطيف
أنت سرّ العطر في قصائدي وفي كلماتي
وأنا ما عدت شاعراً
يهيم في البراري والمنافي
يطارد الحروف والقوافي
على رصيف الانتظار
يطارد القصائد والأشعار
وعندما يأتي المساء
أسافر مع أسراب السنونو
إلى وطن صلبوه بألف مسمار ومسمار
أرفع أشرعتي في الفضاء
لأغادر خيمة تهزها الريح ويراقصها الغبار
أسافر من ميناء إلى ميناء
ومن مطار إلى مطار
وفي ذاكرتي صوَر لخيام
صارت لشعبي مقبرةً للأحياء
أسافر إلى قرية قال شبابها للصهاينة الجبناء
قرية قالت أنا اسمي الصفصاف
أنا أمّ الشهداء
أنا منكم لا أخاف
أنا اسمي الصفصاف
رجالي يستشهدون
يجابهون الموت لكنهم لا يركعون
يموتون واقفين كالشجر
ومِن دمائهم سيولد أطفال
كلّ طفل يحمل في يده حجر
طفلٌ يقول للصهاينة ولبعض العرب
حجري سيهزّ مضاجعكم
ويفجّر في وجوهكم براكين الغضب
سأمشي إلى الشهادة ورأسي سأرفع
ستسمعون هدير صوتي والعدو سيسمع
إن الحجر في يدي أقوى من ألف مدفع
وإن رييعكم العربي لن يفلح أو يمنع
جرساً في القدس سيقرع سيقرع
حبيبتي صار جرحي نهراً بلا ضفاف
أسافر كل يوم
إلى قبر أخي الذي قتلوه في قرية الصفصاف
حبيبتي
كوني على بني صهيون وعلى العرب المتصهينين
كوني عاصفة كوني زوبعة
كوني كما تشائين
لكنني أعلم علم اليقين
أن اسمك يا حبيبتي من أجمل الأسماء
أنت حورية جميلة رأيتُ وجه أبي في عينيها
ولأجلها عصرتُ من شرايني حبرا
لأسكب عطر قصائدي على قدميها
أتدرون من تكون حبيبتي؟
حبيبتي تحمل من العراق نخلة
ومن لبنان أرزة
ومن دمشق عقدَ ياسمين
حبيبتي حورية اسمها فلسطين!